مزمور ١١٩ – التحوّل الكتابي يشمل أفكارنا وقلوبنا وأفعالنا

هدفنا كمؤمنين هو أن ننمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح (٢بطرس ٣: ١٨)، لنكون أكثر شبهاً بصورة المسيح (رومية ٨، ٢٩). فالكتاب المقدس يزوّدنا بالتفاصيل لما تعنيه مشابهة صورة المسيح. وبينما ننظر إلى نموذج تحوّلي للنمو والتطور والتعلّم العميق في حياة المتعلّم، يُرى أنّ التحول يجب أن يحدث على مستوى القلب، والذي، كما سنرى لاحقاً، يشمل الفكر والعواطف والإرادة. هذه الأمور الثلاثة تقابِل مجالات التدريب الثلاث التي رأيناها في ١تيموثاوس ٤: ١٤–١٦.

أكّد يسوع على الحاجة إلى تغيير حقيقي وعميق داخل القلب. ففي متى ١٢: ٣٤–٣٥، يقول يسوع إنّه "من فضلة القلب يتكلّم الفم، الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور." تنبع جميع رغباتنا وأفعالنا وأفكارنا من القلب.

في سفر أمثال ٤: ٢٠–٢٣. يُخبر الأب ابنه أن يكون مُصغياً لكلمات أبيه (الآية ٢٠)، وأن يحفظها في قلبه (الآية ٢١)، ثم يقول لابنه في الآية٢٣: "فوق كل تحفّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة." فالقلب هو هدف التعليم والتدريب لأن منه تنبع شؤون الحياة، أو مصدر المُخرَجات. فأفكارنا وعواطفنا وأعمالنا تنبع من القلب.

إن أرَدنا رؤية قادة يفكرون ويحبّون ويعيشون مثل يسوع، فنحن بحاجة إلى تطوير التعليم والتدريب بحيث يعمل على تغيير القلب. لذلك سوف ننظر إلى مزمور ١١٩ كأساس كتابي لهدف ووسيلة التعليم والتدريب اللّذان يُنتجان تعليماً عميقاً أو مُغيّراً.

مزمور ١١٩– نموذجٌ تعليميّ

يُعتبر مزمور ١١٩ مزموراً توراتياً،[1] حيث يُزوّدنا هذا المزمور إضافة إلى مزمور ١ ومزمور ١٩، بعدد من الإشارات المختلفة لكلمة الله.[2] هذا التعبيرُ متعدد الأوجه لكلمة الله أو التوراة في مزمور ١١٩ يجعل من كلمة الله الهدف الأساسي لتعلّم المرء.

تُزوّد هذه الأوجه المتنوعة لكلمة الله ناظم المزمور بفوائد أو بركات متنوعة. فكلمة الله هي حياة (آية ٤٠) وراحة (آية ٥٠) وكنز (آية ١٤) وحكمة (آية ٩٨) وفهم (آية ١٠٤). كما أنها تحفظ الناظم من العار (آية ٦) ومن الخطية (آية ١١)، وتجلب البركات (آية ٤٥) وتجعله يُرنّم (آية ٥٤). إن هذه التعابير متعدّدة الوجوه، ويتم التعبير عنها في ملء إعلان الله، تغطّي كامل خلاص الله، وهذا يتضمّن التحوّل الكامل للمؤمن. يجب التفاعل مع كلمة الله وأن يتم استيعابها بكامل كياننا الذي يتكوّن من فكر ومشاعر وإرادة. فعندما يتفاعل شخصنا بكامل كيانه مع كلمة الله، يحدث التحوّل الحقيقي في شخصنا. وهذا هو التغيير الحقيقي. مزمور ١١٩ هو دليل عملي لتفاعل كامل مع كلمة الله، لتعليم وتدريب القادة الرعاة، إذ يعلّمنا كيف نتفاعل مع كلمة الله ونفهمها ونطبقها. وهذا التفاعل مع كلمة الله أمر شخصي.[3]

أستخدمُ هنا مزمور ١١٩ كنموذج تعليميّ للأسباب الآتية:

١– السّبب الأول والأكثر أهمية هو أن استخدام مزمور ١١٩ يرسّخنا في النّص الكتابي بينما نسعى إلى وضع

---

[1] Mays, James Luther 1987. *The Place of the Torah-Psalms in the Psalter*. Journal of Biblical Literature 106. no. 1 (1987): 3-12.

[2] كلمة الله تُسمّى ناموس (توراة)، وعد (إمرا)، أحكام (مشباط)، قانون (حوق)، شهادات (عِدوث، عِدا)، وصايا (مِصوا)، تعاليم (فِقّود)، كلمة الله (دافار)، طريق الله (ديرك). (Brown-Driver-Briggs 2006; Sargent 2009, 104). حين تُؤخَذ كلُّ هذه الأسماء معاً تشكّل كامل ما يُقصَد بـ"كلمة" (Ways 1987, 106:1:5; Sargent 2009, 81:2:105).

[3] "على أية حال، إن معالجة ناظم المزمور الأولية للنص المقدس هي وجودية بالأساس، وتُعرض باستمرار من وجهة نظر الشخص الذي يرتبط بشكل حيوي مع النص" (Sargent 2009, 106).

وتطوير وإلى تحديد طرق عمليّة لكيفية تدريب وتطوير القادة الرعاة. ويُركّز القادة الإقليميون على الكتاب المقدّس ويلتزمون بالعيش حسب تعاليمه.

٢- كما ذكرنا في السبب الأول فإننا نرى التشابه بين أبعاد القلب الثلاثة الموجودة في مزمور ١١٩ مع جوانب التدريب الثلاثة الخاصة بنا في ١تيموثاوس ٤. وكما سنرى، فهي تتفق مع مبادئ تعليمية فعّالة (الأبعاد التعلُّمية الثلاثة لبلوم).[4]

٣- سياق مزمور ١١٩: إن سياق المزمور المرتبط بالاضطهاد والتجارب يتناسب مع سياق القادة الذين نسعى إلى تنميتهم وتطويرهم.

٤- التفاعل القلبي الكامل مع كلمة الله: يُشير المزمور إلى الأولوية التّامّة للقلب، الذي يتفاعل مع كلمة الله ويتغيَّر تغيُّراً تامّاً من خلالها. فهي تدعم الجوانب التي تحتاج للتّغيير في قلوبنا بالتّعليم والتّدريب، كما تُظهِر لنا طريقة قلبيّة كاملة للتّفاعل مع كلمة الله بهدف الوصول إلى قلب متحوّل. هذا هو هدف التّدريب، وفهم هذا النموذج أمرٌ مهم.

٥ -الحق الكتابي أمر شخصي للمؤمن: يزوّد فهم كيفية إعداد القارئ للتّفاعل مع المزمور المعلّمين الغربيين بفهمٍ عن كيفية تفاعل العرب مع الحق. فبعكس المنهج الغربي "الموضوعي" والمجرّد والنظري في النظر إلى الحقّ، فإن العرب ينظرون إلى الحق بصفته جزءاً من الشخص أو مرتبط بالشخص الذي يستقبله. إن الحق أمرٌ أكثر شخصيةً في العالم العربي، وهذا هو منظور المزمور.

[4] Bloom, B., Englehart, M. Furst, E., Hill, W., & Krathwohl, D. 1956. *Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals. Handbook 1: Cognitive Domain*. New York, Toronto: Longmans, Green.

سياق مزمور ١١٩:

يدور سياق المزمور حول خدمة القادة الرّعاة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، هذا ويعبِّر المزمور ١١٩ عن فرحه بكلمة الله كونها مصدر الدّعم والتّعزية والفرح والحلاوة في الحياة. وكاتب المزمور يحتاج إلى هذه الأمور وأكثر، لأنه يعيش في خضمّ الإضطهاد والمذلّة. "ينبغي أن تؤخذ التصريحات المتعلقة بالاضطهاد والظّلم (الآيات ٦١ و٧٨ و٨٤ و١١٠ وغيرها) على محمل الجدّ، لأننا فقط عندما نفهم أنهما (الاضطهاد والظلم) مصدر عبارات المرنم، نستطيع أن نستوعب القوّة والتّعزية اللّتين تمنحهما كلمة الله وشريعته في حياة المرنم."[5]

"إن المرنّم شابٌ يجد نفسه في وضع يتم وصفه بوضوح، حيث إنه يتعرض للسّخرية والانسحاق والاضطهاد، وذلك من قِبل الذين يحتقرون كلمة الله (لأن الارتداد يحيط به من كل جهة)، وبالتحديد من حكومة تعادي الديانة الحقّة (مزمور ١١٩: ٢٣؛ ١١٩: ٤٦؛ ١١٩: ١٦١). إنه مقيّد بالحبال (مزمور ١١٩: ٦١؛ انظر ١١٩: ٨٣)، ويتوقع الموت (مزمور ١١٩: ١٠٩). وفي خضم هذا، كلمة الله هي تعزيته وحكمته، ولكنه أيضاً يتوق إلى العون، ويصلي بكل جدية وحماس طالباً إيّاه. المزمور كله عبارة عن صلاة من أجل الثبات وهو في وسط بشر آثمين ومنحطّين، وفي خضم ضيق شديد."[6]

الدعم الذي حصل عليه من التوراة واللّهج بها ساعدا الشاب على أن يتعلّم من التّجارب والتحدّيات التي واجهها. ولم تكن النتيجة أنه حفظ كلمة الله وحسب، فهو أيضا فرح بها، "فالكلمة الخارجة من فم الله هي الآن أثمن إليه من أعظم غنى أرضي."[7] والفرح بهذه الكلمة اليقينيّة والشّاملة عضد المرنم، ودعمه في مذلته (مزمور ١١٩: ٩٢). "وبعد أن

---

[5] Weiser, Arthur. 1962. *The Psalms, A Commentary*. SCSM Press Ltd. London, England. Translated by Herbert Hartwell. Norwhich, UK, Flether and Son Ltd.

[6] Delitzsch, Franz & Keil, C. F. *Commentary on the Old Testament*. Eerdmans, Grand Rapids, MI. 1971. https://www.studylight.org/commentaries/kdo/psalms-119.html

[7] المرجع السابق.

كان مُضطهداً ومنحنياً كأنما للموت، فإنه مدين لها لأنها أحيته (مزمور ١١٩: ٩٣). هذا هو اختباره السابق."[8] ولأنه يتلذّذ في الشريعة، فهذا الأمر عضده وسنده في وسط مذلّته، وكانت نتيجة هذا أنه لن ينسى أبداً (بعد اختبار عميق) وصايا الله، لأنها كانت مسرّته، وقد منحته الحياة.

هذا كلام يخاطب عميقاً سياق القادة الرعاة في الوطن العربي، إذ يتحدث مزمور ١١٩ عن أهمية وأولوية الكلمة في توجيه وتحفيز وإراحة وتعليم شعب الله. إنه يتحدث عن تلك الأولويات في وسط الاضطهاد والصعوبات والأخطار. هذا هو سياق القادة الرعاة في المنطقة. إن المفردات المستخدمة في الحديث عن كيفية التفاعل مع كلمة الله حتى نكون قادرين على الوقوف والتعلّم والتشدد بكلمة الله هو أمر تعليمي للقائد. يمثِّل مزمور ١١٩ نموذجاً لكيفية تغيير كلمة الله لتفكير ومشاعر وأفعال خدامه في وسط الاضطهاد.

[8] المرجع السابق.